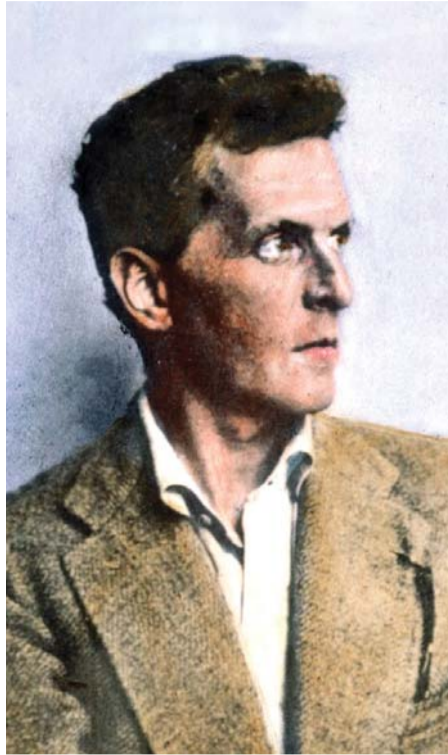


سيرة أربعة فلاسفة شكّلوا منعطفًا في الفكر الغربي

جوانب مظلمة في حياة فلاسفة عاشوا مخاضا عسيرا



في زمن "السحرة" يروي الألماني فولفغانغ أيلنبرغر تفاصيل "العشرية الكبرى للفلسفة" ما بين 1919 و1929، تلك العشرية التي كان مصير أوروبا خلالها متأرجحا بين الديمقراطية والديمقراطية، مثلما كان العالم -الخارج منها- من حرب مدمرة -على شفا حرب ثانية أكثر دمارا وفضاعة.

أبو بكر العبادي
كاتب تونسي

الفلاسفة الأربعة الذين شكّلوا منعرجا في الفكر الغربي سارت عليه الفلسفة من بعدهم، رغم أنهم مارسوها بشكل منفصل، كل على طريقته، فركزوا على أزمة الديمقراطية والانتهاك الهويوي ونقد التكنولوجيا والتنمية المستدامة.

أولئك الفلاسفة الذين لا نعرفهم إلا من خلال آثارهم، يبدو هنا أشخاصا من لحم ودم، ما يساعد القارئ على فهم عملية الخلق عندهم، التي عادة ما تتجلى بعد مخاض عسير، باستثناء كاسير الذي كان يراكم المؤلفات الجامعية بانتظام عجيب وكأنه يؤدي عملا من الأعمال اليومية. فالكاتب يقودنا إلى حميمية أولئك العباقرة عبر مراسلاتهم المسهبة مع زملائهم واصدقائهم ونسائهم أو عشيقاتهم، فصادف حنا أرندت وعلاقتها مع هايدغر، وامرأة أنارشيست ثورية من لثافيا هام بها

بنيامين هياما حوله بدوره إلى ثوري، مثلما تصادف أسماء لامعة أمثال برتراند راسل، وجون كينز، وهوسرل، وأدورنو، وأينشتاين، وهوركهايمر، وأبي فاربورغ، وأسماء أخرى كان لها حضور في الحركة الفكرية بجمهورية فايمار قبل قيام الرايخ الثالث.

مصائر تتقاطع دون أن تلتقي بالضرورة، صاغها أيلنبرغر بأسلوب متسوق، حتى أن بعض الفصول تقرأ كقصص روائية: عن بنيامين البوهيمي المعدم الذي كان يعيش على ترجمة بعض الأعمال الفرنسية، والرحالة القلق الذي لا يقتر له قرار، أما فالتر بنيامين فقد نظر إلى العالم في كتاب "فشارع ذو اتجاه واحد" كحشد كبير من علامات قابلة للتأويل.

مصائر تتقاطع دون أن تلتقي بالضرورة، صاغها أيلنبرغر بأسلوب متسوق، حتى أن بعض الفصول تقرأ كقصص روائية

هايدغر وفغنشتاين وكاسيرر فلاسفة عانوا حياة عسيرة

المهمّسين، لا ينفك يستعجل ناشريه تسبقة بيقم بها أوده، وهايدغر أمعن في تعظيم شأن هتلر، وانخرط في الحزب النازي كي يضمن بقاءه في الجامعة؛ وكاسيرر كان سيلقى المصير نفسه لو لم يغادر ألمانيا ويعتقد الجنسية السويدية، قبل أن يهاجر إلى نيويورك، والسبب كما تقول الفيلسوفة المجرية أنياس هيلر أن الفلسفة لا تقدم أجوبة عن الأسئلة التي يطرحها العالم، بل تقدم فقط منهج البحث عن الأجوبة، والفيلسوف ينظر إلى العالم ويفكر في ما يجري، دون أن يؤمن ببلوغه التمام، فهي تؤمن، مثل أستاذها جورج لوكاتش، بأن الفلسفة تنظر إلى العالم بعين طفل، وتفكر في البدائل الممكنة لهذا العالم.

بقدر أكبر من جهة غوصه التاريخي والبيوغرافي في الدوائر الفكرية لتلك المرحلة، وفي الحياة الخاصة لأولئك الفلاسفة، دون الوقوع في التأويل باثر رجعي. وكان فولفغانغ أيلنبرغر يريد أن يؤكد أن الحياة الشخصية والظرف الثقافي والإنتاج الفكري يمكن أن تتمازج وتتمتع مثل تلك اللحظات المتميزة. وقد اعتبرهم "سحرة" لاعتمادهم على العالم الحاضر بنبع من حيواتهم وأفكارهم.

ولسائل أن يسأل لماذا فشل أولئك العباقرة في التأثير على مجريات الأحداث، وحتى في تأمين مسار حياتهم، ففغنشتاين تنازل عن ميراثه الضخم لاختيه، ثم اضطر إلى مزاولته التدريس لتلاميذ الصفوف الابتدائية في أحد أرياف النمسا؛ وبنيامين عاش عيشة

معاناة فغنشتاين حين يكتشف بمرارة فشل حياته اجتماعيا وعاطفيا، لاسيما أن ما يكتشفه لا يمكن أن يبوخ به لأحد، وهو الذي كان دائما يعتبر نفسه مظلوما وغير مفهوم؛ أو كبر هايدغر المفرد حين جال بخلده أن يلقي جهود سابقه، إذ قال إن كل المفكرين الذين سبقوه ينبغي أن يطرحوا جانبا، بدعوى أنه سينفض الغبار عن الميتافيزيقا، التي عدّها بديكارتي أم العلوم جميعا. ومن خلال سيرة أولئك الأعلام، يرصد الكاتب إرهابات الكارثة التي سوف تضع أوروبا في أتون حرب شاملة.

حياة شخصية

هذا الكتاب الذي حاز جائزة الاتحاد الأوروبي في نسخته الألمانية، وجائزة أفضل كتاب أجنبي في ترجمته الفرنسية، وصُف في خاتمة الكتب الأكثر مبيعا، يكسسي أهمية من جهة تحليله الفلسفي لا محالة، ولكنه يكسسيها

عبريته صارت مضرب الأمثال منذ نشره كتاب "رسالة منطق فلسفية". وعن كاسيرر الذي كانت مسيرته الأكاديمية، بخلاف رفقاء دريه، تمضي كما رسم لها وقدر، إذ سرعان ما حاز شهرة واسعة عن دراسته الموسوعية للرموز ودورها في الحضارة، قبل أن تظهر البوادر الأولى لمعاداة اليهود في ألمانيا. ولكن الكتاب يستعرض أيضا ما يشرخ الصورة التي استقرت في الأذهان عن أولئك الفلاسفة، فقد درجوا على التزلف والنفاق للحصول على منصب أستاذ جامعي يضمن لهم موارد مادية قسرة، ومركزا اجتماعيا مرموقا إلى جانب النخبة الثقافية في ألمانيا. ولم يشذ عن ذلك السلوك سوى فغنشتاين الذي لم يساوم ولم يتنازل. والكاتب لا يلمع سيرة أولئك العملاقة، بل يعري جوانبها المظلمة أو المثيرة للشك، كعلاقات بنيامين فرانك التي قادته من برلين إلى موسكو مرورًا بكابري الإيطالية، أو

110 مسرحيات

تشارك بـ«أيام قرطاج»

تونس - أعلنت إدارة «أيام قرطاج المسرحية» بتونس، الأربعاء، برنامج النسخة 21 للمهرجان، الذي ينطلق الأسبوع المقبل، بمشاركة 110 عروض مسرحية. وجاء ذلك خلال مؤتمر صحافي عقده مدير المهرجان حاتم دربال، بمدينة الثقافة بالعاصمة تونس. وتنتقل فعاليات المهرجان في 7 ديسمبر المقبل، وتستمر حتى الـ15 من الشهر نفسه. للمهرجان ستشهد مشاركة 14 عرضا مسرحيا في المسابقة الرسمية، بينها اثنتان من تونس، و10 مسرحيات عربية و2 من أفريقيا. ومن بين المسرحيات المشاركة "من أين نذهب؟" من السنغال، و"ابوكومونة، كلب الست" من فلسطين، و"الوحش" من لبنان، و"الطوق والأسويرة" من مصر، و"كيميا" من سوريا. ويتنافس المشاركون على 6 جوائز؛ وهي العمل المتكامل، أفضل إخراج، أفضل كتابة مسرحية، مسرح الأوبرا لأفضل "سينوغرافيا"، أفضل أداء نسائي، وأفضل أداء رجالي. وأشار دربال إلى أن المهرجان يحافظ على هويته، التي تأسس من أجلها العام 1983، باعتباره مهرجان "جنوب جنوب" الذي يهتم بالمسرح العربي والأفريقي والأميركي اللاتيني والجنوب آسيوي. وأكد أن اختيار هذا التوجه يهدف إلى الانفتاح على التجارب المسرحية الجديدة والفرجة العالمية الحديثة. ولفت إلى أن المهرجان سيقدّم 11 عرضا مسرحيا داخل 10 مؤسسات سجنية بالبلاد. وسيقام حفل افتتاح المهرجان الرسمي بمسرح الأوبرا بمدينة الثقافة وسط العاصمة، تتخلله 3 عروض مسرحية.

أدب الحريات الوطنية

أدب الحريات القديم والحديث، فإن تسعى لصناعة الحرية يعني أن تسعى لصناعة الحياة من جديد. وستبدو الحالة صورة مكبرة في جماعيتها أكثر من فرديتها، فالتحرر من قيد السلطة بهذه الصيغة هو الذي يؤلب على الثورات والظواهرات والتفرد الإيجابي، ويغذي روح الوطنية إلى أقصى عمقها، لذا نرى في قول جورج صائد "صناعتي هي الحرية" ما يمكن فهمه أن الأدب يشتق أجاسه صانع آخر يتدخل في الحراك الشعبي العام، ويضفي عليه هالة جمالية مساوية له في القيمة الثورية، وصولا إلى ممارسة الحرية من أوسع أبوابها.

بول إيلوار ومحمود درويش أنموذجان شعريان لأدب المقاومة والبحث عن الحريات الوطنية، لكن هناك نماذج سردية أيضا

"علينا أن نكون أحراراً ليس فقط لأننا نعلن الحرية بل لأننا نمارسها" وهذه الممارسة، وهي بتعبير وليم فونكر، هي الهدف الأخير لانتراع الحقوق الجماعية للشعوب من طغاة السلطة وحكامها والمتسبدين على مقدراتها، فالفضيلة الكبرى ليس أن تكون حراً وإنما في أن تتنازل من أجل الحرية كما يرى نيكوس كازانتاكيس، وحتى نزار قباني في رومانسياته المباشرة قال "إلإني لم أتزوج بين نساء العالم إلا الحرية" لذلك فالنضال من أجل الحرية -عربياً في الأقل- هو إيجاد مناخ سياسي

والسياسيون والجمالبيون بشكل عام، ليؤرخوا لهذا الحراك كتابة ومواقف وشهادات ويتذكرونه في أرشيف التاريخ الإنساني مع حركة الزمن الجارية. وقد وقف نيلسون مانديلا على هذه المعاني بوصفه أشهر سجين سياسي قائلاً إن العيب فقط يطلبون الحرية أما الأحرار فيصنعونها، ولهذا نجد الحريات المنتزعة من السلطات الشمولية تصنع الأبطال والشهداء والشعراء والمبدعين والقادة الكبار والسياسيين الوطنيين، مثلما نجد أن معظم الأدباء يقفون في الصفوف الأولى من هذه القضية للدفاع عنها وتثوير الأجيال إلى ضرورة الوقوف ضد الحكام القاسدين والسياسيين النفعيين وسلطات الدم والظلم، وحتى في الحروب الوطنية هناك أصوات تتعالى لشعراء وروائيين للتحذير على مواجهة أعداء الوطن. فالأوطان الحقيقية هي القادرة على أن تعيش بأمان وسلام وحريات مفتوحة ضمن مساحاتها الاجتماعية والأخلاقية.

درويش وإيلوار أنموذجان شعريان لأدب المقاومة والبحث عن الحريات الوطنية. ولنا في السرد نماذج أدبية صارت علامات في أدب الحريات والمقاومة، فلا يمكن أن نستغني عن ذكر الروائي فيركور في روايته القصيرة "صمت النجر" التي نشرت سراً في باريس إبان الاحتلال النازي لتصبح رمزاً للمقاومة، ليشكل مع مواطنه إيلوار فنائياً في الشعر والسرد ضد المحتل الغاصب. وقد يكون الأدب العربي متردداً بهذا الخصوص لأسباب تاريخية معروفة، لكنه مواكب بشكل عام لآليات التغيير السياسية ومرافق للحراك الثوري على مدار العقود التي مضت، لاسيما في الشعر الوطني المحرض على انتزاع الحريات من السلطات الشمولية. إن هذا التذكّر وما سيليه من استشهادات اسمية سيقننا عبر تاريخ

في الأزمات الوطنية الساخنة له فعل مؤثر عندما تكون الكلمة قوية بفعل الرصاصة، وعاملاً قوياً للتحذير على الصمود والاستبسال والمقاومة. وفي الأدب العربي لنا أمثلة وفيرة على شعر المقاومة وأدب الحريات الذي رافق أجيالاً متعاقبة؛ وليس لنا أن نتجاوز الشاعر الراحل محمود درويش في مجمل قصائده الكبيرة التي تعطي للحرية العربية نكهة وطنية خاصة (لو كان حراً لما صار أسطورة) فالحرية ليست هبة، واستورتها من أنها صناعة بشرية وليست وصفاً إنشائياً تلجأ الشعوب إليه عندما تحتاجها. وأن تصنع الحرية أفضل من أن تطلبها. وصناعة الحرية تكلف الشعوب خسائر باهظة حينما تلجأ إلى الشهور الشعبية والانتفاضات الجماهيرية وحتى المواجهات المسلحة كآخر الحلول الصعبة. ومن هذه المعطيات يظهر الناشطون والأدباء الوطنيون

وارد بحر السالم
كاتب عراقي

يوم كانت طائرات الحلفاء تلقي بقصيدة "الحرية" إبان الحرب العالمية الثانية للتحريض على المقاومة والقتال والصمود بوجه الألمان، كان الشعر أحد وسائل المقاومة وبث روح الحماسة في نفوس المقاتلين. وكان بول إيلوار صاحب القصيدة لم يكتشف شيئاً جديداً، لكنه ابتكر اللحظة التعبوية الملائمة بهذا الإشهار واسع النطاق على جبهات القتال في استخدام المعنى بشموليته الذي وصفته القصيدة لتذكير الجنود بيوميات صغيرة تتجمع لتكون هي الوطن الحر. وأن الهوامش الصغيرة المعتادة هي المتن الأكبر الذي يشكل الوجود الإنساني. وهي الجوهر الذي ينبغي الدفاع عنه باستماتة. وهذا النوع التحريضي المباشر من الكتابات



أدباء في صف الثورات (لوحة للفنان ضياء العزاوي)